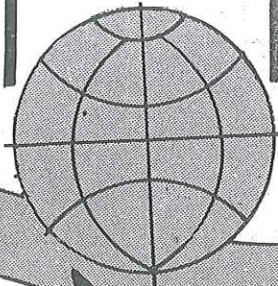
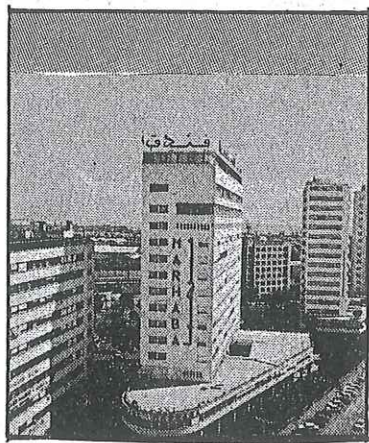


مع الرياض في الرياض



غيرنا فان الذي تجدونه من الحق
عندنا لا تجدونه عند غيرنا.. الخ.

أحد الاشراف وطلبوا منه ان يذهب
 معهم الى المغرب ليوصلوه عليهم خليفة
 اماما فوافق على ذلك واشترط شروطا
 لا تزال تنفذ حتى اليوم ومن تلك
 الشروط انه بعد نزول الغيث وتنزل
 البركات يكون الخمس من ريع الثمار
 له ولاسرتة. هكذا قيل والله اعلم. وهذه
 الحكاية هي بداية حكم الاشراف
 الادارسة للمغرب والصحيح غير ذلك
 فادريس بن عبد الله قد فر من موقعة فخ
 مع الحسين بن علي ولحق بمصر ثم الى
 المغرب فبايعته قبيلة اوربة على
 السمع والطاعة وقبيلة اوربة من
 اعظم قبائل البربر في المغرب الاقصى.
 ومن خطبته بعد حمد الله والصلاة على
 نبيه انها الناس لا تحذوا الاعنات الى



في مستهل هذا العام اعني عام ١٤٠٣هـ ازمعت السفر الى المغرب العربي ولولا ان الاسماء لا تغير لقلت الغرب العربي فهو غرب في موقعه ولا يفصل بينه وبين اسبانيا العزبية سوى اربعة عشر كيلومترا وهو غرب في تآثره الحضاري فقد رضح فترة من الزمن لثلاث دول اوربية هي فرنسا واسبانيا والانجليز..

المغرب العربي ،وطن البرابرة قبل
الاسلام وبعد ان اشرقت شمس
الاسلام على شواطئ المحيط الاطلسي
والبحر الابيض المتوسط كانت بلاده
بلاداً عربية اسلامية ورغم ان
الدويلات أو البيوتات التي حكمت
الغرب حقبة من قرون كانت من
البرابرة الا انهم لم يعثوا باللغة
العربية ولم يرجعوا عن دينهم
ومقومات ممالكهم الاسلامية في
التشريع والاعتقاد كدولة الموحدين
مثلا. وفي حكاية ان المغرب العربي مر
به سنون عجاف فتنشاور اهل الراي
فيهم وقالوا نذهب الى الحجاز وفي
الحرمين نسال الله ان يغيث بلادنا
وديارنا. وفيهما نتوسل باهل بيت
رسول الله الاحياء للدعاء والاستغاثة
وبعد وصولهم الى الحجاز توصلوا الى

على القبر ما يرجع الذاكرة الى الفن المعماري الشرقي والغربي فقد قيل ان مهندسين من دول شرقية وغربية صمموا هذا المرقد وابدعوا في فنه المعماري مما جعله مزارا للسياح وملفت انظار الزائرين.

ومن الرباط ننقل الى مدينة فاس المدينة الحضارية والاعتقادية فهي المنطلق للتصوف بطوائفه المتعددة وهي مدينة العلم وفيها جامع القرويين وتاريخه معروف ومشهور والى مدينة فاس يحج الافارقة التيجانيون الى قبر احمد تيجاني قائد الطريقة التيجانية ومؤسسها وما زالت في غرب افريقيا ومن اخطر معتقدات التيجانية القول بوحدة الوجود واعتقاد ان جوهره الكمال افضل من القرآن الكريم تلك التي اخفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ولد احمد تيجاني وبعث الله رسوله خصيصا له ليعلمه جوهره الكمال فهو الفاتح لما اغلق يعنون بذلك احمد تيجاني.

في المدينة القديمة جامع القرويين الذي كان قلعة حصينة للعلم والمجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي ولا زال والحمد لله معمورا بالتعليم والمصلين والزائرين.. لقد لفت نظري ايجاد ساعة ضابطة للوقت تسير على الشمس بوجود شاخص يحدد الدقائق والثواني والساعات.

ومن مدينة فاس الى مدينة مكناس نلتقي بعدد من الاخوة الدعاة فيحدثوننا عن سير العمل وعن انفتاح المغرب وانغلاقه انفتح لجميع المذاهب والاحزاب والديانات ولكنه انغلق في وجه الحركة السلفية الرامية الى طمس معالم الوثنية المحبوبة باسم ولاية الصالحين ومشاهدتهم ومزاراتهم والتي تكثر في مدينة فاس ومكناس وهي مغلقة امام الحركة الشبابية التي تهدف الى تطبيق الاسلام في شموله وعمومه المبني على قواعد الشرع.

قد تعجب من الديمقراطية في المغرب والملكية وقد تعجب ايضا من

وجود المنظمات السرية والعلنية التي تهدف الى جذب المغرب الى احد الجناحين اليميني او اليساري حرية الرأي والتحدث موجودة ومغلقة في وقت واحد وتفسر ذلك انه يمكن ان تقول ولكنه لا يمكن ان تفعل والذي تنطبع عنه نفسية الزائر للمغرب جمال الطبيعة وحسن اخلاق المغاربة ومعاملتهم وكرم الضيافة لمن خالطهم وتعرف عليهم فقد اجتمعت في المغرب العربي عوامل ادت الى مرونة المغاربة وتطعيم عاداتهم وتقاليدهم بطابع المشرق والمغرب.

ومن مدينة مكناس الى طنجة منطلق طارق بن زياد ذلك الذي شق عباب البحر الى اسبانيا وقفت على القصبة الصغيرة والتي تبعد عن مدينة طنجة قرابة اربعين كيلومترا شمالا من هنا قالوا انطلق طارق الى اسبانيا في مدينة طنجة مرقد الرحالة العربي المسلم ابن بطوطة بعد ان جال في العالم في القرن السابع الهجري وكتب ما كتب عاد الى موطنه فكان موته ومشهده في مدينة طنجة. التقيت بالعالم امين عام رابطة علماء المغرب الشيخ عبدالله كنون فتحدث واوزج عن الخطوط العريضة التي تسير عليها رابطة علماء المغرب من تلك الخطوط رفض التعصب المذهبي لفروع الشريعة ووجوب المرونة في اخذ الاحكام من مصادرها التشريعية الكتاب والسنة والاجماع وترجيح ما

قام عليه الدليل وعدم الاكتراث بالطرق الصوفية التي فرقت المسلمين وشتت شملهم فلا يعيب رابطة العلماء ان كان في الرابطة من ينتمي الى هذه الطرق بل اوغل في التسامح وفرض رايه في عدم التقيد بمذهب الامام مالك والعقيدة الاشعرية والماتوريدية مثل هؤلاء العلماء هم القادة والمصلحون المتحررون من رقة العبودية والتبعية لآراء الرجال واختلافات المذاهب.

ومن طنجة الى الدار البيضاء حيث كان لقائي بالعالم العلامة والبحر

الفهامة الاديب الكبير الدكتور تقي الدين الهلالي مغربي عراقي سعودي اوريبي كان في تلك المناطق زهرة عمره فقد سكن العراق ثلاثين عاما حتى لا يكاد يفكر في المغرب وفي المملكة العربية السعودية سبعة عشر عاما حتى لا يكاد يظن بالخروج عنها وفي دول اوربا امضى حقبة من زمن نال فيها شهادة الدكتوراة من المانيا يجيد اللغة الانجليزية والفرنسية ويتحدث الاسبانية ويخطب بالبربرية ومع انه عالم ادب فهو سلفي المشرب يعتبر من رجال الحديث ومن علماء التفسير بلغت سنه ثلاثا وتسعين عاما ومع هذا فهو يتحدث حديث الفتى المكتمل القوى كانما يعطيك من فمه دررا ويهدي اليك من ماله جوهرآ.. حدثني فقال حججت عام ١٣٤١هـ وسمعت ان الملك حسين شريف مكة قد سجن ابابكر خوقير من اهالي جدة لانتماؤه للمذهب الحنبلي والعقيدة السلفية فكان في ذلك استعجال سفري من مكة غير ان الله اوجد الفتحة بعد عامين حيث دخل ابن سعود الحجاز ورفعت راية التوحيد وطمست تلك المقابر ووحدت الامامة في الحرم المكي لا يكاد الهلالي يفتر عن حديثه وذكرياته من غير تكلف في النطق ولا ممازحة ولا ضحك ولكن الدكتور يقذف شررا عندما يغضب ويتحمس ضد فكرة ما او شخص ما قوة النجدين وصلابة الوهابيين وعنفوان البادية يكفي انه عاش في العراق وقد عرف بالشدّة وعاش في نجد وهم اهل النجدة عفا الله عنك يا شيخ تقي الدين الهلالي فقد الف كتابا جمة ووضح فيها عن علمه واعرب عن مكان فهمه وفقهه كان آخر منصب له استاذ في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ثم انتقل الى المغرب بمشورة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز فرفع راية التوحيد واعلنها صيحة مدوية ضد كل خرافة وبدعة لم يضعفه توقيفه في زنزانة او السعي الى الحكم في ايدائه ولم يحد من نشاطه ذلك الهجوم السافر من اصحاب

البقية ص ٣٧

من الرياض إلى الرباط (بقية)

الطرق والبدع ولكن الدكتور الهلالي يعمل ومعه معية الله فهو رجل ثورة لا أقول الثورة السياسية ولكنها ثورة تثير الجدل والبحث عن عقيدة الاسلاف ومقوماتها الصحيحة وتدعو الى عودة الاسلام في ثوبه الجديد ووظيفته الصحيحة وتحقيق ذلك بيان التوحيد وما يشتمل عليه من توجيهات ربانية واحكام تشريعية. الدار البيضاء لا تكاد ينكر فيها منكر ولا تعرف فيها معروفا لكثرة السياح ورواد تلك الدار وللناس فيما يعيشون مذهب.

سكنت فندقا مرقما باربعة نجوم واستطلعت على بعض الاحوال في الدار البيضاء الا انها لا تشجع على الحديث بتوسع فهي مدينة سياحية ورغم انها ليست اثرية لكن شواطئ البحر وتجمع السكان جعلت منها ميناء للشاحنات لمختلف الاجناس ورديء الناس ولعل التسامح هو الذي دفع الكثير والكثير الى قصد الدار البيضاء وجعلها مرتعا خصبا لمتعة الجسد والتمتع بمنظر الطبيعة والجو الملائم.

عدت الى الرياض بعد هذه الجولة الاستطلاعية وبودي ان استطلع على المخطوطات والمراجع العربية فيما انجزته الحضارة العربية في الاندلس الا انني لم احظ بدليل ولم اتعرف على شيء من ذلك وازدحام البرنامج العملي ويذكر ان في مدينة سلا وفاس وطنجة من المكتبات ما يندهش لها الباحث ويعجز عن حصدها القاريء مما يدل على قدم رسوخ الحضارة الاسلامية في البلاد المغربية طبعت وزارة الاوقاف في المغرب كتاب التمهيد لابن عبد البر على موطا مالك اربعة عشر مجلدا ولديها كتاب المعيار في فتاوى افريقية واهل الامصار في عشرة اجزاء.

وتوالي الوزارة على احياء التراث الاسلامي العربي المغربي في التفسير والخديث والادب والتاريخ الاسلامي والى الملتقى في رحلة قادمة ان شاء الله.

الصحابة على اسواق المدينة ومكة.. ثم رسخت كنظام له وال للحسبة في عهد العباسيين، وقد تولى الحسبة في عهد المنصور يحيى بن زكريا على اسواق بغداد.. وولى نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم احد القراء السبعة الحسبة للخليفة الهادي، وقد تولى في عهده. وأبتداء من القرن الثالث الهجري انتشر نظام الحسبة في الدول الاسلامية مثل مصر وتونس وكل شمال افريقيا والاندلس. وبقيت سائدة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري حيث الغيت واستبدلت بمجالس المديرية، او اصبح المحتسب موظفا في الديوان الحكومي مثلما حدث بمصر في عهد الخديوية سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ ميلادية.

اي انه انتهى الامر بهذا الانجاز الاسلامي الكبير بالنظمة خاصة بمراقبة الاسواق ومنع الغش، وغير ذلك من الامور الدنيوية.. بينما تقاعست الدول عن وظيفة المحتسب الدينية التي ما زالت قائمة حتى اليوم في المملكة العربية السعودية احتي تطبيق شريعة الله في كل امور دينها ودنياها.

ان المجتمعات الاسلامية قد الغت الجانب الديني في نظام الحسبة.. وكل ما ابقته هو الجانب الدنيوي. وهذا امر في منتهى الغرابة. فقد كان هذا النظام يتفرد دون غيره من الانظمة الحضارية باهتمامه الكبير بالجانب الديني الذي تستقيم به امور العباد في الدنيا. فالاصل فيه هو تعاليم الاسلام التي تمكن من اقامة المجتمع الاسلامي دون شوائب. فاذا استغنت الامة عن الاصول وتمسكت بالفروع فانها بذلك تفقد سمة هامة من سماتها وتطمس جانبها حضاريا يعينها على تقدمها وتطورها..

اشتدوا على انفسهم بالعمل بنصها. فلذا كان الامر يتعلق بواجب قاموا عليه حتى يوفوه حقه، وكيف لا، والخالق سبحانه يحض المؤمنين على هذا الامر ويحذر من البعد عنه. قال تعالى: «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

وكان التطبيق العملي للامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المسلمين الاوائل هو نظام الحسبة الذي ازدهر في القرون السالفة، واخذ منه الغرب معظم قوانين مكافحة الغش في الموازين والمكاييل وغيرها من انظمة مراقبة الاسواق والغش التجاري، وحتى قوانين الآداب العامة ونظافة المدن. لقد بني نظام الحسبة - الذي نوره الآن كجانب من جوانب الحضارة الاسلامية - على قواعد شرعية تحفظ للمجتمع الاسلامي اخلاقه الفاضلة في دينه ومعاملاته. وقد ركز هذا النظام - الذي ازدهر في منتصف القرن الثاني للهجرة - على حماية المجتمع الاسلامي من الانحراف دينيا ودنيا.. ومعنى الحسبة هي احتساب الاجر عند الله «واحتسب فلان عند فلان، اي انكر عليه فعله وقبيح عمله، وهما كما قال الفقهاء: امر بالمعروف اذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله.. والنظام معمول به حتى اليوم في المملكة العربية السعودية دون غيرها من الدول الاسلامية. فما فعلته هذه الدول هو انها اخذت عن الغرب قوانينه المستمدة من نظام الحسبة وطبقته في المعاملات، بينما اهملت جانب الدين. ولا غبار على المعاملات ولكن ماذا بشأن الدين؟

تقول كتب التراث الاسلامي ان نظام الحسبة عرف ايام النبي صلى الله عليه وسلم وايام خلفائه حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يولي احد